عصـور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد01 - جوان 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال: (DOI)10.54239/2319-022-001-005

مصادر ثروة الأرستقراطية الإفريقية الصاعدة في الإدارة الرومانية خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد

The Wealth Sources Of Rising African Aristocracy In The Roman Administration During The Third And The Fourth Centuries AD

ط.د. صونية شلالي *
جامعة باتنة 01/ الجزائر
مخبر دراسات في التاريخ والثقافة والمجتمع
sounia.chellali@univ-batna.dz
د. بلقاسم شعلال
جامعة باتنة 01/ الجزائر
belkacem.chalal@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال2023/01/11 تاريخ المراجعة: 2023/02/15 تاريخ القبول:2023/06/10

الملخص:

نتناول في هذا المقال أمثلة عن نخب محلية، ظفرت داخل المقاطعة الإفريقية وخارجها بالعديد من المناصب الحساسة، عسكرية، إدارية، سياسية، حيث اعتمد الاحتلال الروماني منذ دخوله لشمال إفريقيا، على أساليب عدة تنوعت واختلفت باختلاف أباطرتها، وذلك بسن قوانين وإصدار نصوص جعلت منها أساسا للتحكم في الساكنة المحلية وكامل المقاطعة. فقد استندت روما بعد بسط سيطرتها وتوسيع نفوذها في بلاد المغرب القديم، على فئة محلية لتسيير أمورها في المنطقة، بعد رومنة هذه الأخيرة ومنحها امتيازات متعددة وتسهيل سبل

* ط.صونية شلالي، جامعة باتنة 1

عصور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد01 - جوان 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

الحصول على المواطنة الرومانية، من خلال تقديم تنازلات وربط هذا الارتقاء بالثروة التي كان يملكها كل شخص، والتي تمكنها من الارتقاء الاجتماعي. تهدف هذه الدراسة إلى محاولة تسليط الضوء على مصادر ثروة الأرستقراطية المحلية، ولعل أبرزها المورد الاقتصادي، الذي اختلفت فيه طرق الحصول على الثروة، كممارسة الزراعة والتجارة باختلاف مجالاتها، وامتهان مختلف الصناعات الحرفية، لأجل الوصول إلى أعلى المراتب في العالم الروماني، ثم العمل بعد ذلك على تطوير المنطقة، فبرزت نخبة محلية كان لها الفضل الكبير في خدمة إفريقيا والعمل على ازدهارها في كافة المجالات.

الكلمات المفتاحية: الأرستقراطية الإفريقية؛ الزراعة؛ التجارة؛ الصناعة؛ الثروة؛ الارتقاء؛ الإدارة الرومانية؛ مناصب سياسية.

Abstract:

In This article, we discuss examples of local elites who won, inside and outside The African province, many sensitive military, administrative and political positions. Since its entry into North Africa, the Roman occupation relied on several methods that varied and differed according to their emperors By enacting laws and issuing texts that make it a basis for controlling the local population and the entire province, Rome, after extending its control and expanding its influence in the ancient Maghreb, relied on a local category to managing its affairs in the region, after Romanizing them and granting it multiple privileges and facilitating the means of obtaining Roman citizenship. By making concessions and linking this upgrading to the wealth that each person had, which enables them to social elevation. This study aims to try shedding light on the wealth sources of local aristocracy. Perhaps it most prominent is the economic resource, in which the methods of obtaining wealth differed, Such as the practice of agriculture and trade in different fields, and the profession of various handicrafts, And the occupation of various crafts in order to reach the highest ranks in the Roman world, A local elite emerged that had great credit for serving Africa and working for its prosperity in all fields. then work on developing the area, It also won many sensitive military, administrative and political positions inside and outside the African province.

Keywords: African aristocracy; Agriculture; Trading; Industry; Wealth; Upgrade; Romanian administration; Political positions.

- مقدمة:

انتهج الرومان في مختلف المقاطعات التي استعمروها سياسات عديدة، لأجل تثبيت أواصر حكمهم وخدمة مصالحهم، وهو ما عرفته مقاطعة إفريقيا هي الأخرى، حيث سعت فيها لخلق عنصر إفريقي مرومن، فتحت له أبواب الصعود في السلم الإداري، والارتقاء في المجال السياسي، وتتمثل أهمية الموضوع في كون الثروة هي الشرط الأساسي للولوج في المناصب السياسية الرومانية، والاستفادة من الترقيات الاجتماعية، وهو ما يدفعنا لطرح الإشكالية الآتية: مصادر ثروة الارستقراطية الإفريقية بين الشروط الرومانية المضنية وهدف الارتقاء السياسي.

كدراسات سابقة وصريحة حول هذا الموضوع، لم نعثر إلا على إشارات هنا وهناك في بعض المقالات والأطروحات، أما كعنوان دراسة واضح فغير متوفر، في انتظار الأبحاث الجديدة.

أما هدفنا من إنجاز هذا البحث هو الغوص في الثنايا والحيثيات التي تخص أهم المهن أو الحرف التي انتهجها الأفارقة لأجل الحصول على القدر الكافي من الأموال، والتي بدورها تساعدهم على دخول الإدارة الرومانية، لتحقيق مكاسب تعود عليهم وعلى نسلهم وموطنهم بالمنفعة ومنافسة الرومان في السلطة والمناصب السياسية.

وللإجابة على إشكاليتنا اعتمدنا المنهج التحليلي من خلال بحثنا في أهم مجالات عمل السكان المحليين، والذهاب للاستدلال بأهم الشخصيات التي من خلال عملها تمكنت من كسب ثروة جعلتها ترتقي اجتماعيا فسياسيا في الإدارة الرومانية.

اتخذ الرومان من الطبقة الأرستقراطية الإفريقية سندا لهم في حكم البلاد، ما جعلها تمنح أفرادها امتيازات اقتصادية واجتماعية مقابل ذلك، لتسند لهم مهمات السهر على مصالحها العليا في الحواضر وأقاليمها (شنيتي، 1984، صفحة 224)، سواء كان هؤلاء من كبار الملاك أو التجار أو الحرفيين، حيث استقطب الرومان هذه الفئة، ثم فتح لها مجال الثراء الاقتصادي والارتقاء الاجتماعي من أجل مساعدتهم على تثبيت

وجودهم (شنيتي، 1985، صفحة 93). فكان للرومان وسيلة للتشجيع شبيهة بالأوسمة وبواسطتها تجلب الأنصار والأصدقاء، فكانت بتعميمها للترقيات الفردية التي كانت تعود بالنفع على كامل أعضاء العائلات المعنية بالأمر، تحاول تقوية الرصيد البربري جيلا بعد جيل، وهو ما ساعد في تجديد طبقة الموظفين التي تحتاج إليها لتنمية التأثير الروماني في المغرب. ولهذا نجد روما قد نجحت إلى حد ما في تكوين طبقة برجوازية بالمدن، توارثت شؤون الحكم وتضامنت مصالحها مع مصالح الرومان، مما ضمن ولاءها لروما (جوليان، 1983، صفحة 203)، فمنذ عهد أسرة الفلافيين عمل الرومان على استمالة هذه الأسر، حيث أفادتنا العديد من النقوش اللاتينية عن ترقية هؤلاء الأفراد إلى طبقات عالية في المجتمع، بفعل التسهيلات التي سنها الإمبراطور هادريانوس (Hadrianus)، وأبرز هذه النقوش نقيشتي (كيليوم وماكتاريس)، فقد أثبتت مثلا نقيشة فلافيي كيليوم (القصرين)، المنقوشة على الضريح الذي ينتمي إلى سلسلة الأضرحة الجنائزية الإفريقية العظيمة، أن كبار هذه الأسر النوميدية قد حصلوا على المواطنة الرومانية في عهد الفلافيين، والتي كان مصدر ثروتها مزارع الكروم، فشيدوا ضريحا يحتوي على أربعة نقوش جنائزية ونصان من الشعر المنظوم بدقة، لإبراز العظمة التي وصلوا إليها (Lassère, 1993, p. 261) وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأفارقة بدأوا بالبروز في العالم السياسي الروماني قبل القرن الثالث والرابع ميلادي، وهنا يمكننا الاستدلال ببعض النماذج، حيث نذكر على سبيل المثال عائلة انتيستي (Antisti)، من عنونة (Thibilis) التي برزت منها شخصيتين كان لإحداها دور بارز في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس(Marcus Aurelius)، وكان الآخر صهرا له، كما تقلد أحد سكان الكاف (Sicca Veneria) في الفترة نفسها مهام وزارة المال (Procurator Arationibus) (جوليان، 1983، صفحة 203). والعديد من الأمثلة التي لا يسعنا المقام للتطرق لها كلها.

أما نقيشة ماكتاريس فقد وجدت على معلم جنائزي في مدينة ماكتاريس (Mactaris)، يروي حياة أسرة حصّاد اسمه أوريليوس (Aurelius) تعود إلى حوالي القرن الثالث ميلادي.

1- المصدر الزراعي:

كانت الزراعة هي المصدر الرئيسي للثروة بالنسبة لسكان بلاد المغرب القديم، فكان لزاما على الشخص امتلاك ممتلكات زراعية ذات دخل كبير، حتى يستطيع ممارسة مهنة إدارية محترمة، فكانت المدن بشكل عام، تحت سيطرة عدد محدود من العائلات التي تمتلك معظم ثروة الأرض، بعد تعيينها طبعا كأعيان _ التي كانت تشكل فئة محدودة_ في المجلس البلدي من طرف الإدارة الرومانية. (Mahjoubi, 2019)

تشير مصادر العصر الروماني أن الرومان كانوا يضعون القبائل الخاضعة لهم تحت إشراف الضباط الرومان (Decuriones Praefecti Tribuni)، ويعينون مشايخ هذه القبائل الذين يعتبرون من الأثرياء القدامى كأمراء مواقع (ورمنقتن، 1994، صفحة 30)، فيضاف إلى اسم أحدهم لقب روماني اعترافا من المستوطنين الرومان بصدقه وخضوعه لهم وحفاظه على نصوص الاتفاق المبرم بين القبيلة والسلطة الرومانية (مجيد، 2007، صفحة 50) ، وهذا ما أثبتته النقوش الفينيقية الجديدة التي تم العثور عليها في بعض القصور في جنوب طرابلس، حيث قام الرومان بتعيين بعض رؤساء القبائل المنتشرة في منطقة حدود طرابلس، والداخلة في خدمتهم قادة وذلك بمنحهم رتبة عسكرية عالية نقيب (Tribunus)، مع تخويلهم السلطات الإدارية والعدالة في مناطق الحدود المتواجدة بها قبائلهم (ورمنقتن، 1994، صفحة 30)، فهذه الامتيازات لا يمكن لأي شخص من الأجانب مهما بلغت ثروته أو منزلته لدى قومه بلوغها، ما لم يحصل على المواطنة الرومانية نظرا لأن اكتساب المواطنة لم يكن أمرا ميسورا، فهي تتطلب شروط صعبة لا تتوفر سوى في الفئة القليلة النادرة من الأهالي، والحاصل عليها يدخل المجتمع المنظم وتتفتح أمامه فرص العيش الكريم وأبواب الثروة والجاه (شنيتي، 1984، الصفحات 172-173)، نظرا لأن الأباطرة الرومان لم يكونوا مهتمين سوى بالمنتجات الفلاحية، ودعم الأمن والاستقرار في إيطاليا وولاياتها تاركين الأمور الاجتماعية المغربية للحكام المحليين. (رحماني، 2010، الصفحات 33- 34)

وبما أنهم قدموا الطاعة والولاء فقد منحوهم منزلة خاصة، حيث استفاد هؤلاء من وضعهم الجديد، ووجدوا فيه فرصة لتبوئهم أعلى المناصب (روبين ، 1999،

صفحة 31). فقد بلغت سياسة الأباطرة المتعلقة بتوسيع نظام البلديات الرومانية في بلاد المغرب أوجها خلال القرن الثالث ميلادي، وهو القرن الذي شهدت فيه البلاد أقصى توسع للاستعمار الروماني، وخاصة في الجهة الشرقية والوسطى من بلاد المغرب القديم، فكان توسيع خريطة البلدة الرومانية ينطوي على شروط الانتفاع بها من الأهالي، إلا أن انتشار البلديات بمختلف درجاتها القانونية (رومانية، لاتينية، إيطالية)، لم يكن يعني أن سكان دوائرها الإقليمية كانوا أمام قانونها في وضعية متساوية (شنيتي، 1984، صفحة 174)، وهذا ما أثبتته النقوش التي عثر عليها في بئر (دريدر)، والتي أشارت إلى السياسة المتبعة من قبل الرومان مع القبائل التي تقطن جنوب الولاية (مجيد، 2007، صفحة 76)، وقد كان تجديد تلك الفئة من العائلات البارزة في الإدارة الرومانية بطيئا جدا، فلم يتم دمج العناصر الجديدة إلا من خلال الزواج أو التبني، ونادرا ما كان يسمح الإرث أو حياة كاملة من العمل الزراعي بهذا الصعود الاجتماعي، كما يتضح من نقش مكتاريس الذي يسجل وصول فلاح لأن يكون من النخبة المحلية. (Mahjoubi, 2019) و هو ما سنتعرف عليه جيدا في العنصر الآتي، إضافة إلى العديد من الأمثلة كما سنبينه:

1-1- أوريليوس :(Aurelius)

عاش هذا الفلاح مع عائلته في الفقر، وكان يعمل في مزارع السهول العليا بتفان فنال رضا رئيسه الذي رقاه إلى رتبة رئيس المزارعين، فعمل على جمع المال ثم اشترى ضيعة (دومان)، فمكنته هذه الثروة والسمعة الحسنة من دخول دائرة السنات بمدينته، ومنه فإن هذا الرجل رغم أنه كان من الطبقة الأكثر ضعفا أو (المتواضعين)، كما أطلق عليهم بعض المؤرخين، إلا أن اعتماده على نفسه والجهد الذي بذله من أجل زراعة وتوسيع ممتلكاته، كان السبيل له ليصبح (Duumvir) ديومفير (Lassère, 1977, p. 590) بعدما كان عضوا في المجلس البلدي للمستعمرة (Decurion)، وهو ما أكدته النقيشة التي عثر عليها في مكثر (Mactar)، وتعود إلى حوالي 260 أو 270م، إذ أكد بنفسه أنه كان مالكا لمنزل في المدينة لا ينقصه شيء من الضروريات المختلفة. (Lassère, Jean-Marie; Griffe Michel, 1996, pp. 04-07)

2-1- جيلدون :(Gildon)

كان ينتمي إلى أسرة نوبل (Nubel) من قبيلة يوباليني (Jubaleni)، التي تنحدر من منطقة جبال البيبان وكانت معظمها مرومنة، حيث اعتبر نوبل من أقوى أمراء موريطانيا القيصرية، وكان لهذه الأسرة نفوذ واسع، وهو ما يتضح من أملاك أفرادها التي انتشرت في المنطقة الممتدة، من حوض وادي الشلف غربا إلى حوض وادي الصومام شرقا، وكان أبناؤه يملكون أراضي شاسعة وممتلكات كبيرة (بشاري، 2012، الصفحات 30- 31)، ما مكن جيلدون من التحالف مع الرومان وتزويدهم بالقمح، حتى أنه زوج ابنته من نبيرديوس (Nebirdius) حفيد الإمبراطورة فلاسيلا (Flausila) زوجة الإمبراطور ثيودوزيوس(Theodosius). (ورمنقتن، 1994، صفحة 31)

تمكن جيلدون من تقلد منصب كومس أو قائد جيش إفريقيا(كونت إفريقيا) عام 387م، عقب طرد فالنتنيانوس الثاني (Valentinianus II) من إيطاليا (Tadeusz, 1976, p. 350)، فتمتع بنفوذ كبير وكانت له سلطة فعلية أكبر من الموظفين المدنيين بصفته قائدا للجيش (ورمنقتن، 1994، صفحة 141)، حتى أنه منح لقب الرجل الشريف (Vir Spectabilis)، وهذا يعني أنه وصل إلى مرتبة لم يصل إليها الكثير من الأفارقة من قبل، الأمر الذي سمح له بعقد اتفاقيات مع زعماء القبائل النوميدية والمورية لتجنيد وحدات قتالية عند الضرورة. (بشاري، 2012، صفحة 249)

وهنا يظهر أن المواطنة لا يحصل عليها سوى من أعيان القوم من كان يحقق مكاسب أكبر من غيره للرومان، وبالتالي فإن المبدأ الذي تستند إليه روما في منحها المواطنة للنخبة الحضرية هو الثروة (نظرا لأن هذه الأسرة - جيلدون- كانت قوية وتشكل خطرا على روما)، كما أضافت إليه المكانة السياسية بالنسبة للريفيين، ومنه فهي أشبه شيء بمسابقة لا يفوز فيها إلا الذي قدم نفعا أكبر لروما، فهي بذلك عملية انتقاء دقيقة للعناصر النافعة من مجتمع الأهالي، وهذا الانتقاء كان الهدف الأساسي منه هو أن يصبح المنتفعون بالمواطنة من هؤلاء، هم رسل روما الأوفياء بين قومهم ودعاة حضارتها في مجتمعاتهم (شنيتي، 1984، صفحة 177).

سعت روما أيضا إلى ترقية كبار ملاك الأراضي عن طريق إدخالهم في المجالس البلدية، حيث ارتبطت ثرواتها بالأرض والتي سمي أفرادها الديكوريون (Décurion)،

والتي سيطرت على الحياة العامة وارتقى البعض منها إلى طبقة الفرسان الأعلى، ما يجعل صاحبها قادرا على تولي مسؤوليات كبرى عسكرية ومدنية كقيادة الجيوش أو حكم بعض الولايات. (أكرير، 2016، صفحة 88) ولنا مثال في ذلك وهو:

1-3- م. باترونيوس فورتوناتوس (M. Petronius Fortonatus):

وجدت له نقيشة في قبر بمعبد جنائزي في القصرين، في الرواق المقابل لمدخل الثكنة قرب جسر في واد دارب (Oued Derb)، عرفت بنقيشة كيليوم (Cilium) وهي لـ م. باترونيوس فورتيناتوس (M. Petronius Fortonatus) ويفترض (Jean Marie) أنه ولد سنة 154- 155م في إفريقيا، وتم استدعاؤه في 172م في موزيا للمشاركة في حرب سارماتيك (Bellum Sarmaticum) فكان قائد لثلاثة عشر جحفلا (فرقة)، حسب ما أكدته النقيشة، وقد تم تحديد سيرته من خلال الفرق التي خدم فيها، والبحث في كل فرقة والتاريخ الذي أنشئت فيه، وفي الأخير توصل الباحث إلى تأريخات معينة؛ خدم في الفرقة الإيطالية (Lag. I. Italica) في ألموس (Almus) وفي ميسي(Mésié)، ثم قاد عدة فرق أخرى حتى سنة 195م، كان قائدا للفرقة الأوغسطية الثالثة في لمباز، ثم قائدا لفرق أخرى كذلك وكانت آخرها فرقة أديوتريكس الأولى (Adiutrix I) من 215-218م، في بانونيا (Pannonia) وذكرت أنه لم ينجح في تقلد مناصب إدارية، تقاعد في كيليوم (Cilium) حيث موطن زوجته كلاوديا مارسيا كابيتولينا (Cludiae Marciae Capitolinae (Lassère, 1993, pp. 217-218) ، وقد عرفت عائلة باترونيوس، بالعديد من المدن في شمال إفريقيا ومنهم من تقلد المناصب (Lassère, 1993, p. 58) وفيما يأتي نص نقيشته التي نقشت على القبر الجنائزي في القصرين:

نص النقيشة:

[M(arcus) Petronius Fortunatus 3] / militavit annis IV in leg(ione) I Ita[lica] / librar(ius) tesser(arius) optio signifer / [|(centurio)] factus ex suffragio leg(ionis) eiu[sdem] / militavit |(centurio) leg(ionis) I Ital(icae) leg(ionis) VII / |(centurio) leg(ionis) I Min(erviae) leg(ionis) X Gem(inae) |(centurio) leg(ionis) II A[3] / |(centurio) leg(ionis) III Aug(ustae) |(centurio) II[I] Gall(icae) |(centurio) leg(ionis) XXX U[l]p(iae) / |(centurio) leg(ionis) VI Vic(tricis) |(centurio) leg(ionis) III Cyr(enaicae) |(centurio) leg(ionis) XV |(

Apol(linaris) / |(centurio) leg(ionis) II Par(thicae) |(centurio) leg(ionis) I Adiutricis / consecutus ob virtutem in / expeditionem Parthicam / coronam muralem vallarem / torques et phaleras agit in / diem operis perfecti annos LXXX / sibi et / Claudiae Marciae Capitolinae / <c=K>oniugi karissimae quae agit / in diem operis perfecti / annos LXV et / M(arco) Petronio Fortunato filio / militavit ann(os) VI |(centurio) leg(ionis) X[X]II Primig(eniae) / |(centurio) leg(ionis) II Aug(ustae) vixit ann(os) XXXV / cui Fortunatus et Marcia parentes / karissimo memoriam fecerunt. (Lassère, Les Flavii du Cillium. Étude architecturale, épigraphique, historique et littéraire du mausolée de Kasserine (CILVIII, 211-216), 1993, p. 54)

الترجمة:

ماركوس بترونيوس فورتوناتوس خدم كجندي لمدة أربع سنوات في الفيلق الأول (I) المسمى إيطاليكا حيث تقلد رتبة حامل أداة القذف ثم جندي مكلف بنقل الأوامر من القائد إلى الجنود، ثم مساعد قائد المائة بعد انتخابه من طرف جنود الفيلق، ثم قائد المائة في الفيلق الأول المسمى مينرفاي، ثم قائد المائة {؟}، ثم قائد المائة في الفيلق الثاني، ثم قائد المائة في الفيلق الثالث المسمى أوغسطاي، ثم قائد المائة في الفيلق الثالث المسمى غاليكاي، ثم قائد المائة في الفيلق الثلاثون المسمى فيبياي، ثم قائد المائة في الفيلق السادس فيكتريسيس، ثم قائد المائة في الفيلق الثالث سيرينياكاي، ثم قائد المائة في الفيلق الخامس عشر المسمى أبوليناريس، ثم قائد المائة في الفيلق الثاني المسمى بارثيكاي، ثم قائد المائة في الفيلق الأول المسمى أديوكريسيس ليواصل بكل شجاعة الحملة على البارثيين، أين منح له التارج الشرفي والإكليل، لأنه كان يقوم بعمله على أكمل وجه لمدة 80 سنة، وكانت زوجته كلوديا ماركياي كابيتولينا تنتظره بكل صبر وترقب، أما ابنه ماركوس باترونيوس الذي خدم كجندي لمدة 06 سنوات ثم قائد المائة في الفيلق 22 وكان متميز، ثم قائد المائة في الفيلق الثاني أوغوسطاي، عاش من السنوات 25سنة وكذلك ماركيا برونتس. وضعت هذه النقيشة للذكرى.

وقد تم ذكر هذه العائلة على أنها أسرة وثنية حصلوا على ثروتهم من مزارع الكروم، إذ كانت عائلة **بترونيوس** المقصودة بهذا لأن الضريح يحمل أربع نقوش.

(عيساوي، 2010، الصفحات 385- 386) لذلك عملت روما على نمو طبقة ملاك الأراضي وذلك بتغيبها لصغار الفلاحين بطلبهم للخدمة العسكرية، و فرضت عليهم الضرائب فاختفت الكثير من الملكيات الصغيرة، كما كان للمرأة دور وحق في الوصول إلى الطبقة الأرستقراطية، فقد كانت تملك أراضي ودليل ذلك الصور التي عثر عليها في دار بوك عميرة (بزلطين)، توضح امرأة تأمر العمال في إحدى المزارع. (عبد القادر، 2017، صفحة 04)

أما مبدأ الاختيار لعضوية المجالس البلدية والمناصب الشرفية، فقد حدد فيها منذ عهد أسرة سيفيروس كما يلي: (يجب أن تقوم الاستحقاقية على أساس أن المترشحين لعضوية المجلس، يكون الواحد منهم قد أدى أفضل الأعمال الشرفية). وتعكس لنا وثيقة تموقادي (Thimgade)_ وهي سجل بلدي (شنيتي، 1984، صفحة 223) (Album)_ صورا جلية للهرم الاجتماعي الذي كان يندرج ضمنه سكان المدينة، حيث تصدر قائمة هذا السجل الأعضاء الشرفيون (Honorati) وهم عشرة من الأعيان (Clarissimes)، نصفهم يلقبون ب: السادة (Patrons)، تم اختيارهم من طرف المجلس البلدي بناء على ثروتهم ومكانتهم المرموقة في المجتمع، ولأنهم ساهموا في تغطية نفقات عمومية وتمويل المشاريع والإغداق بأموالهم على الصالح العام (شنيتي، 1984، صفحة 174).

ساهم انتشار الفلاحة في نمو عدد المنتمين إلى مجلس المدينة Ordo) (Decurionuum أو (Senatus) وتفاوتت ثرواتهم حسب مساحة وخصب ما كانوا يملكون من الحقول في أرياف مدنهم، ومن مالهم الخاص شيدت المباني العمومية وتقام العروض المسرحية، فكان الانتماء لمجلس المدينة والوصول إلى المنصب التشريفي (Honos) عبئا ماليا، ولهذا يشترط على المرشح دفع مبلغ تشريفي أو شرعي Summa) (Honoraria Summa Legitima للخزينة (Salama & Mahdjoubi, 1981, p. 470) ، ولما كثرت أعباء هؤلاء حاولوا الهروب بكل الوسائل، من عبئ الخدمات منذ عهد سيبتيموس سيفيروس، وازداد هروبهم في عهد الفوضى العسكرية. (روستفتزف، 1957، صفحة 487)

عمدت روما خلال القرن الرابع ميلادي إلى إعادة خلق طبقة وسطى، مشكلة من الفلاحين الصغار الذين بدأوا في امتلاك الأرض، حيث منحت لهم حقوق سقي حقولهم وبساتينهم من منشآت الري العمومية، ودليل ذلك وثيقة لماصبا (Lamasba) مروانة حاليا، والتي تحمل أسماء لأشخاص يستفيدون من السقاية وقد تنوع في هذه اللائحة الأسماء بين إيطاليين، غاليين وجرمان إضافة إلى الأهالي، كما صدرت قوانين تحمي أصحاب الأرض، التي تحوي مياه سطحية مثل المرسوم الإمبراطوري الذي أصدره قسطنطين الأكبر في مارس 319م، وقد كان نتيجة لشكاوي الفلاحين الصغار الذين يملكون بعض تجهيزات الري، من ظاهرة اغتصاب مارسها في حقهم الملاك الكبار (شنيتي، 1984، صفحة 221)، وبدأ يحل محل هذه الطبقة الوسطى كبار الملاك، الذين جمعوا ثروتهم بتصدير القمح والزيت من مزارعهم، فتبوأ هؤلاء الرجال الأثرياء أعلى المناصب وأعادوا بناء المباني العمومية التي دمرت في القرن الثالث ميلادي (عيساوي، 2010، صفحة 404)، عن طريق الدخول إلى مجلس الأعيان البلدي، من أجل الحصول على بعض الامتيازات الإدارية (محجوبي، 1985، صفحة 505)، ولنا في ذلك أمثلة حول أعيان المجالس البلدية الإفريقية، نذكر على سبيل المثال باتريكبوس والد القديس أوغسطينوس، الذي كان عضوا في المجلس البلدي بمدينة ثاقاست (Thagast) أو سوق أهراس حاليا، وبعد وفاته ورث عنه أوغسطينوس (St. Augutin) المزرعة الكبيرة التي كان يمتلكها، فتم استدعاؤه ليحل محل والده في عضوية المجلس البلدي للمدينة (ورمنقتن، 1994، صفحة 83)، ومن هنا يتضح أن الرومان سعوا إلى استمالة هذه الفئة، ما أدى إلى تكوين طبقة من الأثرياء توارثت شؤون الحكم عبر عدة أجيال (مجيد، 2007، صفحة 53)، لأن الصعود من مهن يدوية إلى طبقة البرجوازية البلدية، ثم منظمة الشفالية (الفرسان) بعدها المشيخة (السناتو) كان يقتضي عدة أجيال (إيمار و جانين، 1986، الصفحات 387- 388)، وقد كان لهذه الفئة مكانة مميزة لدى السلطة المحلية وجمهور المدينة، حتى أن الساحات العمومية كانت تزين بتماثيلهم عرفانا بجميلهم، وخلدت أسماؤهم في لوحات تذكارية تعلو المباني العمومية التي شيّدوها، نذكر مثلا سوق كويكول (Cuicul) أو جميلة حاليا، الذي بناه كوزينيوس

(Cosinius) حوالي 138م، والذي سمي باسمه وعلق فيه لوحة خلدت صاحب الإنجاز، حتى أن هذه الفئة استفادت من منح قدمتها روما، كتشجيع لمن يسهر على حماية مصالحها، فكان يمنحها الوالي لمن يزوره أيام الاستقبالات المخصصة لهذا الغرض، واحتفظت خرائب تموقادي بنص حولها يدعى قانون التحية(Ordo Salutationes) حيث عثر عليه منقوشا على لوح حجري، معلق على الجدار الشمالي لمبنى المجلس البلدي بتموقادي تم العثور عليه عام 1881 – 1882، وهو قانون يعود إلى الإمبراطور جوليانوس (Julianus) حسب تعليق مومسن سنة 1884 (L'ephemeris Epigraphica)، وتم تبليغه بأمر حاكم نوميديا المدعو أولبيوس ماركيانوس (Ulpius Mariscianus) فيما بين 361- 363م، وقد تضمن القانون مكافآت متفاوتة القيم بتفاوت مراتب الزوار، فكان للأعيان (Princepes) أعلى هبة، وخلال القرن الرابع بعد إصلاحات ديوقليديانوس برزت فئة اجتماعية جديدة جمعت إلى سيطرتها على الأرياف نفوذها على الحواضر، وهي طبقة الملاك الكبار التي ساهمت الإصلاحات الاقتصادية في ظهورها ونموها السريع. (شنيتي، 1984، الصفحات 225-226).

2- المصدر التجاري:

يجدر بنا أولا الإشارة إلى أن معظم سكان بلاد المغرب، كانوا قد مارسوا التجارة في الفترة الرومانية، نظرا لما كان يحققه هذا النشاط من ثراء، ولما كانت تتمتع به هذه الفئة (التجار) من مكانة اجتماعية مرموقة، إذ لم يكونوا شركاء في الحياة الاجتماعية فقط، وإنما تعدى الأمر ذلك ليصبحوا شركاء في الحياة السياسية أيضا، وهو ما جعل الإدارة الرومانية تولي اهتماما كبيرا بهذه الفئة وهذا المجال (جوليان، 1983، الصفحات 244- 245)، والدليل على الحركة التجارية ونشاط التجار في مقاطعة إفريقيا هو نص مدينة زراي الذي يعود لعام 202م، حيث يرصد هذا النقش النشاط التجاري بالأسواق، والسلع المتداولة التي تخضع لضريبة المرور، ودور التجار في تسيير هذا النشاط وإبرام العقود مع الدولة الرومانية. (سرحان، 2014، صفحة 15)

اعتبر كل من له ثروة كبيرة في المجتمع خلال الاحتلال الروماني، من الطبقة الأرستقراطية التي مثلها أيضا كبار التجار، الذين مكنتهم ثروتهم التي جمعوها عن طريق

عصـور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد01 - جوان 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

التجارة، من الحصول على وظيفة هامة تؤهلهم لمكانة اجتماعية مرموقة، وقد اعتمدت روما على هذه الفئة لدعم اقتصادها سواء كانوا من تجار القوافل أو تجار البحر، الذين ساهموا في دعم المدن الرومانية فتمكنوا من تقلد مناصب إدارية وعسكرية، كالحصول على عضوية في مجلس الشيوخ الروماني (عبد القادر، 2017، صفحة 04) وبدأت هذه الفئة تتزايد خاصة بعدما أعفاها الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (Septimus Severus) من الأعباء البلدية، كما عمل ألكسندر سيفيروس من بعده على ابتداع وسائل جديدة تعني وتمس جمعيات التجار وأرباب الصناعة، و أبطل الضريبة التي كان يدفعها التجار، لأجل جذبهم واستقطابهم إلى العاصمة (روستفتزف، 1957، صفحة 486)، وساهمت عملية إصلاح الطرق، التي انطلقت من عهد السيفيريين في ازدهار تجارة القوافل عبر الصحراء (قديدة، 1998، صفحة 510)، فازدادت طبقة الأشراف التي أصبح أفرادها يسيطرون على مختلف الوظائف البلدية، بتنظيم حركة الأسواق وتسيير المحاكم، فكانوا يستميلون العامة في وقت الانتخابات لأجل الحصول على عدد أكبر من الأصوات، فاشتهرت عدة أسر إفريقية ببلاد المغرب مثل أسرة (أنيكوس) و (أراد)، التي كانت من كبار التجار في البرقنصلية. (عيساوي، 2010، الصفحات 383- 384)

ونذكر في مجال التجارة لوكيليوس الإفريقي (Lucilius Africanus)، الذي افتتح سوقا ينتظم في اليوم الثاني واليوم العشرين من كل شهر في السالتوس باغانسيس (Saltus Baguèansess)، وقد أشار بلين الصغير إلى أنه في هذه الحالة يتوجب تقديم طلب ترخيص إلى مجلس الشيوخ، فقد كانت الأسواق تلعب دورا مهما في خدمة مصالح كبار الملاك، الذين يرغبون في جعل الأسواق فوق ملكيتهم للحصول على مصدر ثروة جديد. (هنريات، 2014، صفحة 93) ما يدل على أن هذا الأخير "لوكيليوس" كان في منصب إداري حساس، وهو ما أشار إليه (Hedi slim) حين تطرق إلى مهام المجالس البلدية حيث ذكر من بينها بناء الأسواق والإشراف على المعارض التجارية الموسمية، خاصة التي كانت تقام خارج المدن (Hedi & Mahjoubi, 2010, p. 182) فكان الأفارقة يحصلون على هذه المناصب، على أساس الاستحقاق و هو ما كتبه أحد الأفارقة الذي كان حاكما في روما: (في رأيي أن عنصرنا البشري مميز، وكأنما قدر له

أن يكون كذلك لأنه أنتج أناسا كثيرين، ذوي قدرات عالية وهو يرى أن الأطفال الذين أنجبهم ورباهم يتبوؤون أعلى المراكز وأرفعها). (روبين ، 1999، صفحة 31)

لكن الهدف الحقيقي الذي كانت ترنوا إليه السلطة الرومانية، من وراء منحها تلك الإغراءات لأفراد قلائل من النخبة المغاربية التي أوجدت لنفسها مصالح في الوضع الجديد، وترغب في تزكية مركزها الاجتماعي، لم يكن يعني فتح باب الإدماج أمام جميع الفئات الاجتماعية، لتدخل المجتمع الروماني على أساس من التساوي، بل إن الطبيعة التي عرف بها الرومان، والتي زكتها رغبتهم في المحافظة على امتيازاتهم الجنسية والاجتماعية والاقتصادية بقوة السلاح، ومنه فإن تلك التنازلات كانت أسرا سياسيا، وليس جودا إنسانيا سخت به المؤسسة الرومانية على الإنسان المغاربي المقهور، في إطار رسالة روما التمدينية (شنيتي، 1985، صفحة 93).

3- المصدر الصناعي (الحرف):

نكاد نستشف من النقوش التي عثر عليها في بلاد المغرب، والتي ترجع إلى العهد الإمبراطوري إشارات قليلة إلى فئة الصناع والحرفيين خاصة البنائيين (محجوبي، 1985، صفحة 497)، حيث طغى العنصر المحلي والمنتمون إلى طبقات المجتمع الدنيا، على هذه الحرف والمهن اليدوية، التي ترفع عنها الايطاليون والرومان، واعتبروها مهنة العبيد لا الأسياد، حيث لوحظ أن السكان الأصليين، خاصة في المناطق الجنوبية كانوا يشكلون النسبة الأكبر، ضمن هذه الفئة بعدما سلبت منهم أراضيهم ولم يكن أمامهم حل آخر سوى امتهان هذه الحرف والصناعات. (سرحان، 2014، صفحة 33)، التي كانت أغلبها مرتبطة بمتطلبات الحياة اليومية للسكان، ومعظمها مرتبط بالمواد الخام الزراعية والحيوانية التي وفرتها البيئة، كصناعة الفخار والحدادة والتعدين، والتجارة ودباغة الجلود، وغزل الصوف والمنسوجات، وطحن الحبوب والزيتون (روستفتزف، 1957، صفحة 379). عرفت العديد من العائلات في عدة مجالات منذ القرن الثاني، ما يعني أن الأفارقة أثبتوا أنفسهم حتى قبل القرن الثالث والرابع، ويمكن الاستدلال ببعض الأمثلة عن هؤلاء الذين جعلوا من صناعة الفخار سبيل لامتلاك الثروة، والذي كان مصدر دخل معتبر للعائلات المتنفذة بالمدن، فنأتي على ذكر عائلة **بولانيوس**

EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

(Pulanius) التي امتلكت ورشات كبيرة لصناعة الفخار وصدرت منتجاتها إلى كل الغرب الروماني. (فاضل، 2017، صفحة 138)، حيث يمكن قراءة توقيعها على العديد من منتجات ورشها، بالقرب من مدينة أوتشي مايوس (Uchi Maius) هنشير دواميس (Henchir Douamis) بالقرب من دوقة (Dougga)، وهو ما يعرف من أرض وفيلا تم التعرف على بقاياها، والذي لايزال بابها محفورا بالنقش الذي يشير إلى اسم المالكين، وإلى جانب هذه الملكية الزراعية بورشها وأفرانها الفخارية، يمتلكون العديد من مصانع الفخار الأخرى المنتشرة في عدد من المناطق والمدن. (Mahjoubi, 2019) وقد اشتهرت شخصية في صناعة النسيج وهي:

3-1- ألفيوس كايكيليوس الإبثنجي :(Caecilianus Alfius D Abthugni)

ينتمي إلى فئة الأثرياء الصغار وهو صاحب ورشة نسيج، حيث استثمر في صناعة هذه المادة، خلال فترة حكم الإمبراطور ديوقليديانوس ، وبفضل تلك الثروة تمكن من تقلد منصب قاضي إداري (Duumvir) لمدينة أوبثينجي (هنشير الأصوار حاليا)، بالجنوب الداخلي لأوتيكا. لم يصل لهذا المنصب مبكرا، حتى وصل مرحلة الشيخوخة، نظرا لحالته المتواضعة وثروته القليلة، وتقلده للمنصب عام 303م، كان متزامنا مع حكم دقليديانوس الذي اضطهد المسيحيين، فكان له دور فعال في تجنيب إخوانه رعب هذا الاضطهاد. (Leplelley & Hilaire, 1977, p. 624)

فكان الحرفيين بهذا من بين من نالوا الحظوة خلال القرن الثالث من الإصلاحات السيفيرية، خاصة أولئك الذين يملكون ورشات صناعة الفخار (عيساوي، 2010، الصفحات 383- 384)، فقد تم التخفيف من أعباءهم بإعفائهم من الخدمات البلدية (رمضان، 1990، صفحة 75)، فجعل الأهالي من المهن الحرفية مصدرا لثروتهم، ما سيخلق طبقة متوسطة لاحقا، نظرا لأنه لم يمارس غيرهم هذه الحرف التي اعتبرها الإيطاليين الوافدين أمرا مهينا كما أشرنا مسبقا (شنيتي، 1984، صفحة 221)، حيث حدثت الكثير من التغيرات في الطبقات الاجتماعية خلال القرن الرابع ميلادي، فمنذ عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (Theodosius I) 378- 395م، ظهرت طبقة

متوسطة مستقلة عن طبقة العامة، تمتلك أموال جمعتها من نشاطاتها الحرفية خاصة في المدن الداخلية بالبروقنصلية. (عيساوي، 2010، الصفحات 396- 404)

أتيح لسكان الولايات التدرج من مهن يدوية إلى الطبقة البرجوازية البلدية، ثم الفرسان بعدها مجلس الشيوخ (إيمار و جانين، 1986، الصفحات 387- 388)، فإذا عرف التاجر كيف ينظم عماله ويقيم للمتجر عملاء ومراسلين في أماكن أخرى، فلا يلبث أن يستوي في مرتبة اجتماعية أعلى، كما كان من هذه الفئة من يحاول توظيف قسم من ثروتها في شراء الأملاك والأقطان، وبهذا يتاح لأصحابها النهوض إلى مرتبة الأعيان والوجهاء. (إيمار و جانين، 1986، صفحة 336)

-خاتمة:

يمكننا من خلال ما تطرقنا إليه سابقا الوصول للنتائج الآتية:

- اعتمدت روما على أرستقراطية البلديات التي كسبت ثروتها من مختلف الأنشطة سواء كانت زراعية أو صناعية أو حرفية، لتوطيد حكمها واستعمارها لبلاد المغرب، دون الاكتراث بالسواد الأعظم من الجماهير البربرية.
- أكد سكان بلاد المغرب حصولهم على المناصب المختلفة عن جدارة واستحقاق، دون انتظار كرم روما.
- الريادة التي حققها الإفريقي باحتلاله الصدارة، من خلال الدور الذي لعبه في مختلف المجالات، للنهوض بمقاطعة إفريقيا.

-التوصيات:

إن التوصيات التي يمكن الخروج بها بعد هذه الدراسة هي:

- الدعوة إلى الكتابة والتأليف حول هذه الشخصيات الإفريقية المحلية، التي حاولت تسلق سلم المناصب الإدارية الرومانية، رغم الصعوبات التي واجهتها والتحديات التي رفعتها في وجه روما لتبرز وتخدم أرضها، وذلك نظرا لقلة الكتابات حولها، وإن كانت فهي تعود للكتاب والمؤرخين الكلونياليين الذين تسيطر على كتاباتهم الذاتية والتجريح في تلك الشخصيات، ومحاولة طمس هويتهم ونسبهم إلى أمم أخرى، بعيدا عن إفريقيا تماما، واعتبار الإفريقي دائما هو ذلك القاصر حضاريا والبربري المتوحش.

قائمة المراجع:

1/أبو بكر سرحان ، (2014). <<فئات سكان المغرب القديم (تونس- الجزائر- المغرب الأقصى) فترة الاحتلال الروماني>>. المجلة العلمية بكلية التربية بالوادي الجديد، جامعة الوادي، ع 13، الصفحات 3- 33.

2/قديدة،أحمد رمضان (1998). <<ليبيا في عهد الأسرة السويرية>>. المؤتمر التاريخي في ليبيا، الجامعة الليبية . بنغازي.

3/إيمار أندريه ، و أبوايه جانين، (1986). تاريخ الحضارات العام (روما وإمبراطوريتها)، ط2. تر. فريد م داغر، و فؤاد ج أبو ريمان، بيروت: منشورات عويدات.

4/ورمنقتن بريان هاربرت ، (1994). تاريخ ولايات شمال إفريقيا الرومانية (من دقليديانوس إلى الاحتلال الوندالي)، ط2. تر. عبد الحفيظ فضيل الميار، طرابلس، جامعة الفاتح.

5/رحماني بلقاسم ، (2010). <<روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا(بلاد المغرب أنموذجا)>>. مجلة البحوث والدراسات، ع09، الصفحات 29-40.

6/رمضان تسعديث ، (1990). الإصلاحات السيفيرية في بلاد المغرب القديم (193- 235م). رسالة ماجستير. معهد التاريخ، جامعة الجزائر2، الجزائر.

7/روبين دانيال ، (1999). التراث المسيحي في شمال إفريقيا دراسة تاريخية من القرن الأول إلى القرون الوسطى، تر. سمير مالك، لبنان: دار منهل الحياة.

8/عبد القادر سعاد ، (2017). <<الحياة الاجتماعية في إقليم المدن الثلاث خلال العصر الروماني>>. أكادمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، ع 05، الصفحات 119- 134.

9/سعد يونس مجيد، (2007). النظم الإدارية والمالية في ولاية إفريقيا الرومانية 146ق.م-284م. مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة المرقب، ليبيا.

10/جوليان شارل أندريه ، (1983). تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي647م. تر. محمد مزالي، و البشير بن سلامة، تونس: الدار التونسية للنشر.

11/أكرير عبد العزيز، (2016). تاريخ المغرب القديم من الملك يوبا الثاني إلى مجيء الإسلام . المغرب: مطبعة النجاح الجديدة.

12/محجوبي عمار ، (1985). العصر الروماني وما بعده في شمال إفريقيا، م 02. طبع جين أفريك.

13/كامبس فبرير هنريات، (2014). الزيتون والزيت في إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية. تر. محمد العربي عقون، الجزائر: دار الهدى.

14/فاضل لخضر ، (2017). تبسة في العصور القديمة. أطروحة دكتورا العلوم في التاريخ القديم. قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، الجزائر.

18/شنيتي محمد البشير، (1984). التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

19/شنيتي محمد البشير، (1985). الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق. م-40م)، ط2. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

20/محمد الحبيب بشاري، (2012). <<أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي ثورة جيلدون 397- 398م>>. مجلة الإتحاد للأثريين العرب، ع 13، الصفحات 243- 259.

21/عيساوي مها ، (2010). المجتمع اللوبي القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي). أطروحة دكتورا في تاريخ المغرب القديم. قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

22/روستفتزف ميخائيل، (1957). تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، تر. علي زكي ، و محمد سليم سالم، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

23/Hedi, S., & Mahjoubi, A., (2010). Histoire Générale du la Tunisie, Tunise: sud édition.

24/Lassère, J.-M., (1977). Vbique Populus, peuplement et Mouvements de population dans l'Afrique Romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146 Av – 235 Ap), Préfqce de Marcel Le Glay. Paris: édition de Centre National de La Recherche Scientifique.

25/Lassère, J.-M., (1993). <<Les Flavii du Cillium Étude architecturale, épigraphique, historique et littéraire du mausolée de Kasserine (CILVIII, 211-216)>>, (p. d. Rome, Éd.) (169), pp. 5- 268.

26/Lassère, Jean-Marie; Griffe Michel, (1996). <<Le moissonneur de Mactar [À la mémoire d'André Chastagnol, récemment disparu, qui avait publié dans Vita Latina une introduction à l'épigraphie]>>, Vita Latina (143), pp. 2-10.

27/Leplelley , C., & Hilaire, Y.-M., (1977). <<les Cités de l'Afrique Romaine au Bas-Empire, étude D'Histoire Municipale>>. (R. d. Nord, Éd.) 59(235), pp. 621- 627.

28/Mahjoubi, A. (2019, 04 20). Consulté le 08 28, 2022, sur www.leaders.com.Tn.
29/Mahjoubi, A., & Salama, P., (1981). The Roman period in North Africa, (Unesco general history of Africa) (éd. First published, Vol. 2). (G. Mochtar, Éd.) Unesco.
30/Tadeusz, K., (1976). <<Les africains et la domination de rome>>. Trad. M. Michalak, Dialogues D'histoire ancienne, 2, pp. 337- 358.